بسم الله الرحمن الرحيم

القُرآنُ مَنْبَعُ هِدَايَة وَمَصْدَرُ حَضَارَة

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، عَظِيمَةٌ آلاؤُهُ، غَيْرُ مُنْقَطِعٍ فَضْـــلُهُ وَعَطَاؤُهُ، وَنَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، أَنْزَلَ القُرآنَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَهِدَايَةً لِلسَّالِكِينَ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، كَانَ لِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ دَاعِيًا، وَبِالقُرآنِ الكَرِيمِ هَادِيًا، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَعَلَى مَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ وَاقْـــتَفَى أَثَرَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَتِهِ وَرِضَاهُ، وَاعلَمُوا – رَحِمَكُمُ اللهُ – أَنَّهُ لا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ وَسِيلَةٍ تُعِينُهُمْ عَلَى السَّيْرِ فِي صِرَاطِ اللهِ المُستَقِيمِ، تَشْفِي صُدُورَهُمْ، وَتُنَقِّي قُلُوبَهُمْ، وَتُزَكِّي نُفُوسَهُمْ، وَتُعْطِيهِمُ الطَّاقَةَ وَالقُوَّةَ الدَّافِعَةَ لِلسَّيْرِ فِي طَرِيقِ الهِدَايَةِ، وَلِذَلِكَ أَنْزَلَ سُبْحَانَهُ عَلَيْـــنَا كِتَابَهُ الكَرِيمَ، وَهُنَا يَظْهَرُ أَعْـــظَمُ جَانِبٍ لِمُعْجِزَةِ القُرْآنِ، إِنَّهُ شَأْنُ القُرآنِ فِي التَّغْيِيرِ وَالتَّقْوِيمِ لِكُلِّ مَنْ يُقْبِلُ عَلَيْهِ، إِذْ إِنَّهُ يُؤَثِّرُ فِي المَشَاعِرِ وَالقَنَاعَاتِ العَقْلِيَّةِ الَّتِي تُقَدِّمُهَا الآيَاتُ، فَتُصْبِحُ إِيمَانًا يَسْـــتَـــقِرُّ فِي القُلُوبِ، فَيُتَرْجَمُ هَذَا الإِيمَانُ بَعْدَ ذَلِكَ عَمَلاً مُعَايَشًا، وَسُلُوكًا مُشَاهَدًا، إِنَّهُ القُرآنُ الَّذِي وَصَفَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّهُ ﴿هُدًى وَشِفَآءٌ﴾(١)، وَهُوَ يَدُلُّ النَّاسَ إِلَى الصِّرَاطِ المُستَقِيمِ، وَيَأْخُذُ بِأَيدِيهِمْ إِلَيْهِ، وَيَكُونُ لَهُمْ فِي ذَلِكَ الطَّرِيقِ نِعْمَ الصَّاحِبُ وَالمُعِينُ ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ، يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٢)، فَالقُرآنُ هُوَ الرَّحْمَةُ العُظْمَى الَّتِي أَرْسَلَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْبَشَرِيَّةِ، لِتَكُونَ الدَّوَاءَ النَّاجِعَ لِشِفَائِهَا مِنْ أَمْرَاضِهَا وَهِدَايَتِهَا إِلَيْهِ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣).

---

(١) سورة فصلت/٤٤ .

(٢) سورة المائدة / ١٥ .

(٣) سورة يونس/٥٧ .

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

لَقَدْ بَيَّنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ كَيْـفِيَّةَ التَّعَامُلِ مَعَ هَذَا الكِتَابِ العَظِيمِ وَمَعَ هَذِهِ الرَّحْمَةِ الَّتِي أَهْدَاهَا لِلْبَشَرِيَّةِ لِتَعْمَلَ عَمَلَهَا وَتُؤَثِّرَ تَأْثِيرَهَا؛ وَذَلِكَ بِتَدَبُّرِ آيَاتِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ مُخَاطِبًا نَبِيَّهُ ﷺ : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(١)، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾(٢)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾(٣)، إِنَّ الهِدَايَةَ وَالرَّحْمَةَ وَالسَّعَادَةَ وَالفَلاحَ الَّتِي جَاءَ بِهَا القُرآنُ الكَرِيمُ إِنَّمَا تَكُونُ بِالتَّمَسُّـكِ بِهِ، وَذَلِكَ لا يَتَأَتَّى إِلاَّ بِتَدَبُّرِهِ وَفَهْمِهِ وَقِرَاءَتِهِ قِرَاءَةً مُتَأَنِّيَةً وَاعِيَةً، لأَجْـلِ ذَلِكَ عَابَ اللهُ تَعَالَى عَلَى أُولَئِكَ الَّذِينَ لا يَتَدَبَّرُونَ كِتَابَهُ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾(٤)، وَقَالَ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾(٥)، وَكَثِيرًا مَا تَأْتِي خَاتِمَةُ الآيَاتِ حَافِزَةً أُولِي الأَلْبَابِ عَلَى أَنْ يُعْمِلُوا عُقُولَهُمْ وَفِكْرَهُمْ فِي تَدَبُّرِ تِلْكَ الآيَاتِ وَالغَوْصِ فِي مَعَانِيهَا، كَمِثْلِ قَولِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(٦)، وَقَولِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(٧)، وَقَولِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ ﴾(٨)، وَنَجِدُ كَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى تَعَالَى يَذْكُرُ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ أَنَّ الغَايَةَ مِنْ تَبْيِينِ الآيَاتِ وَضَرْبِ الأَمْـثَالِ وَقَصِّ القَصَصِ إِنَّمَا هِيَ التَّفَكُّرُ وَالتَّذَكُّرُ وَالتَّدَبُّرُ، كَقَولِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى

(١) سورة ص/٢٩ .
(٢) سورة القمر/١٧ .
(٣) سورة الإسراء/ ١٠٦ .
(٤) سورة النساء/ ٨٢ .
(٥) سورة محمد/ ٢٤ .
(٦) سورة الزمر / ٢١ .
(٧) سورة يوسف/ ١١١.
(٨) سورة طـــه/ ٥٤ .

هَذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾(١)، وقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢)، فَلا بُدَّ إِذَنْ مِنْ تَدَبُّرِ القُرآنِ وَالتَّفَكُّرِ فِي آيَاتِهِ، وَالغَوْصِ فِي مَعَانِيهِ، عِنْدَهَا تُشْرِقُ قُلُوبُنَا وَتَسْتَضِيءُ بِنُورِهِ، فَيَفِيضُ ذَلِكَ النُّورُ عَلَى السُّلُوكِ وَالتَّصَرُّفَاتِ، فَيَسْعَدُ بِذَلِكَ الفَرْدُ وَالمُجْتَمَعُ، وَتَتَحَقَّقُ رِسَالَةُ القُرآنِ مِنَ الهِدَايَةِ وَالرَّحْمَةِ.

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

لَقَدْ عَاشَ الرَّعِيلُ الأَوَّلُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ بِهَذَا الفِقْهِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ كِتَابِ اللهِ، فَكَانُوا مِمَّنْ وَصَفَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقَولِهِ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(٣)، وَمِمَّنْ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾(٤)، يَقُولُ ابنُ مَسْعُودٍ مَسْعُودٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –: " كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالعَمَلَ بِهِنَّ"، مَا أَعْظَمَهُ مِنْ مَنْهَجٍ – أَيُّهَا الإِخْوَةُ –، عَشْرُ آيَاتٍ لا يُجَاوِزُهَا إِلَى غَيْرِهَا حَتَّى يَعِيَ المَعَانِيَ أَوَّلاً ثُمَّ يُطَبِّقَهَا وَاقِعًا. لَقَدْ عَاشُوا بِالقُرآنِ حَيَاةً حَقِيقِيَّةً عَلَى وَفْقِ مَنْهَجِهِ وَتَعَالِيمِهِ، فَضَرَبُوا أَرْوَعَ الأَمْثِلَةِ فِي امتِثَالِ آيَاتِهِ، وَالوُقُوفِ عِنْدَ أَوَامِرِهِ وَاجتِنَابِ مَنْهِيَّاتِهِ ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾(٥).

عِبَادَ اللهِ:

مِنْ هَذِهِ المَدْرَسَةِ القُرآنِيَّةِ انطَلَقَ الصَّحَابَةُ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى هَذَا الهُدَى وَالنُّورِ فِي أَنْحَاءِ الأَرْضِ، فَتَحَوَّلَتْ عَشَرَاتُ الأُمَمِ وَالشُّعُوبِ المُخْتَلِفَةِ إِلَى خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، وَتَكَوَّنَتْ أَعْظَمُ حَضَارَةٍ عَرَفَتْهَا البَشَرِيَّةُ، حَضَارَةٌ كَانَ أَعْظَمَ مَا يُمَيِّزُهَا عَنْ

---

(١) سورة الزمر/ ٢٧ .

(٢) سورة الأعراف/ ١٧٦ .

(٣) سورة الأنفال / ٢ .

(٤) سورة الزمر/ ٢٣ .

(٥) سورة الفرقان/ ٧٣ .

حَضَارَاتِ التَّارِيخِ أَنَّهَا حَضَارَةُ أَخْلاقٍ وَقِيَمٍ مَعَ كَوْنِهَا حَضَارَةَ عِلْمٍ وَفِكْرٍ، وَذَلِكَ لِمَا لِلْقُرآنِ مِنْ أَثَرٍ فِي القُلُوبِ وَالنُّفُوسِ، وَعِنَايَتِهِ بِالعَقْلِ وَالفِكْرِ وَالخُلُقِ، وَلَوْلا ذَلِكَ مَا أَمْكَنَ أَنْ تَعْتَنِقَهُ الشُّعُوبُ المُخْتَلِفَةُ فِي الأَصْقَاعِ المُتَرَامِيَةِ.

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

إِنَّ مَنْ يَشْهَدُ حَالَ الإِنْسَانِ قَبْلَ نُزُولِ القُرآنِ، ثُمَّ يَرَى عَظِيمَ مَا أَنْتَجَهُ العَقْلُ المُسْلِمُ بَعْدَ نُزُولِ القُرآنِ عَبْرَ حِقَبِ الزَّمَانِ، لَيُوقِنُ جَازِمًا مَا كَانَ لِلْقُرآنِ مِنْ أَثَرٍ عَظِيمٍ فِي تَنْمِيَةِ عَقْلِ الإِنْسَانِ. ذَلِكَ هُوَ القُرآنُ – عِبَادَ اللهِ –، وَتِلْكَ هِيَ هِدَايَتُهُ، فَهُوَ نُورٌ وَدُستُورُ حَيَاةٍ، يُنِيرُ لِلإِنْسَانِ طَرِيقَهُ لِلسُّمُوِّ وَالسَّعَادَةِ، وَيُنِيرُ لِلْمُجْتَمَعِ حَيَاتَهُ وَعَلاقَاتِهِ، لِتَتَكَوَّنَ مِنْ ذَلِكَ حَضَارَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ، تَتَجَلَّى فِيهَا أَسْمَى مَعَانِي الخُلُقِ وَالرُّقِيِّ وَالعِلْمِ وَالفِكْرِ.

فَاتَّقُوا اللهَ –عِبَادَ اللهِ–، وَهَلُمُّوا إِلَى القُرآنِ، قِرَاءَةً وَتَدَبُّرًا، وَفَهْمًا وَتَعْلِيمًا، وَعَمَلاً وَتَطْبِيقًا؛ عِنْدَهَا سَنُدْرِكُ مَعْنَى قَولِهِ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[1]، فَهِيَ دَعْوَةٌ لِلْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ المُتَجَدِّدَةِ.

جَعَلَنَا اللهُ مِمَّنْ يَتَمَسَّكُ بِهَذَا الكِتَابِ عَقِيدَةً وَسُلُوكًا، وَخُلُقًا وَمَنْهَجًا، لِنَكُونَ مِنْ أَهْلِ القُرآنِ، الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ القُرآنَ لِحَيَاتِنَا هَنَاءً، وَلِصُدُورِنَا شِفَاءً، وَنَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، أَحْيَا بِالقُرآنِ أُمَمًا وَأَفْرَادًا، وَهَدَاهَا بِهِ قُلُوبًا وَأَفْئِدَةً، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، إِمَامُ المُتَّقِينَ، وَخَيْرُ الخَلْقِ أَجْمَعِينَ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

(١) سورة الأنفال/ ٢٤ .

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ:

إِنَّ القُرآنَ الكَرِيمَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ غَضًّا طَرِيًّا عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ هُوَ نَفْسُهُ الَّذِي لا يَزَالُ غَضًّا طَرِيًّا بَيْنَ أَيدِينَا، وَهُوَ الَّذِي حَوَّلَ النَّاسَ مِنْ ضَلالِ الجَاهِلِيَّةِ إِلَى هِدَايَةِ الإِسْلامِ، وَأَثَّرَ فِي بِنَاءِ حَضَارَةِ المُسلِمِينَ، وَمَعَ ذَلِكَ نَجِدُ هُنَاكَ تَقْصِيرًا لَدَى بَعْضِ النَّاسِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ هَذِهِ المُعْجِزَةِ الإِلَهِيَّةِ وَالرَّحْمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، فَدَعُونَا – عِبَادَ اللهِ – نَقِفْ وَقْفَةَ صِدْقٍ نَنْظُرُ فِيهَا حَالَنَا مَعَ كِتَابِ اللهِ، وَفِي مَنْزِلَةِ هَذَا الكِتَابِ العَظِيمِ فِي قُلُوبِنَا، وَفِي وَاقِعِنَا المُعَايَشِ.

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

إِنَّ التَّعَامُلَ مَعَ القُرآنِ الكَرِيمِ لَهُ ثَلاثُ مَرَاحِلَ: تِلاوَتُهُ، وَتَدَبُّرُ آيَاتِهِ، وَالعَمَلُ بِمُقْتَضَاهُ، وَأَيُّ تَقْصِيرٍ يَقَعُ فِي هَذِهِ الجَوَانِبِ يَجْعَلُ الإِنْسَانَ بَعِيدًا عَنْ هِدَايَةِ الذِّكْرِ الحَكِيمِ. أَمَّا القِرَاءَةُ وَالتِّلاوَةُ، فَإِنَّ هُنَاكَ تَقْصِيرًا عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ، فَلا تَجِدُ لِقِرَاءَةِ القُرآنِ مَكَانًا فِي جَدوَلِهِمْ، فِي حِينٍ يُوجَدُ مَعَهُمْ مُتَّسَعٌ مِنَ الوَقْتِ لِلتَّسْلِيَةِ وَلِقِرَاءَةِ القِصَصِ وَالمَجَلاَّتِ. وَرُبَّمَا وَجَدتَ الفَرْدَ مِنْهُمْ يَتَقَدَّمُ بِهِ العُمُرُ وَهُوَ لا يَحْفَظُ مِنْ كِتَابِ اللهِ إِلاَّ يَسِيرًا، في وَقْتٍ يَحْفَظُ فِيهِ مِنَ القِصَصِ وَالأَشْعَارِ دَوَاوِينَ. وَقَدْ يَكُونُ التَّقْصِيرُ فِي تَدَبُّرِ الآيَاتِ، وَعِنْدَهَا لَنْ تُحَقِّقَ القِرَاءَةُ غَايَتَهَا مِنَ التَّأْثِيرِ فِي الوِجْدَانِ وَالسُّلُوكِ، فَتَرَاهُ يَمُرُّ بِوَصْفِ الجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا فَلا يَتَحَرَّكُ قَلْبُهُ إِلَيْهَا شَوقًا، وَيَقْرَأُ ذِكْرَ النَّارِ وَعَذَابِ أَهْلِهَا فَلا تَتَحَرَّكُ الخَشْيَةُ فِي قَلْبِهِ، وَيَمُرُّ بِقَوَارِعِ الآيَاتِ فَلا تُؤَثِّرُ فِيهِ، مَعَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ عَنْ كِتَابِهِ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، وَبِفُقْدَانِ تَدَبُّرِ القُرآنِ – عِبَادَ اللهِ – تَضْعُفُ مَنْزِلَةُ القُرآنِ فِي النُّفُوسِ وَتَأْثِيرُهُ فِي التَّطْبِيقِ، فَلا يُعْمَلُ بِمُقْتَضَاهُ، وَلا يُوقَفُ عِنْدَ حُدُودِهِ.

فَاتَّقُوا اللهَ – أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ –، وَلْيُعِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا النَّظَرَ فِي مَنْزِلَةِ القُرآنِ فِي نَفْسِهِ وَأَثَرِهِ فِي حَيَاتِهِ، وَلْيُخَصِّصْ كُلُّ فَرْدٍ مِنَّا جُزْءًا مِنْ وَقْتِهِ، يَخْلُو فِيهِ إِلَى كِتَابِ رَبِّهِ، لِيَمْتَلِئَ مِنْ رَوْحَانِيَّتِهِ، وَيَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى آيَاتِهِ وَيَتَدَبَّرُ مَعَانِيَهُ، وَلْنَجْعَلْ لأَبنَائِنَا وَقْتًا

(١) سورة الحشر/٢١ .

لِلْـقُرآنِ يَتَدَارَسُونَهُ وَيَفْهَمُونَهُ، وَيَحْـفَظُونَ بَعْضَ آيَاتِهِ، وَيَفْقَهُونَ بَعْضَ أَحْـكَامِهِ؛ حَتَّى يَكُونَ مُنْطَلَقًا لِتَعْـلِيمِهِمْ مُخْـتَلَفَ الفُنُونِ وَالعُلُومِ، وَبِدَايَةً تَفْتَحُ قُلُوبَهُمْ وَعُقُولَهُمْ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مُتَفَرِّغًا لِذَلِكَ فَلْيَدْفَعْ بِابنِهِ إِلَى مَنْ يُعَلِّمُهُ، يَقُولُ المُصْـطَفَى ﷺ : ((عَلِّمُوا أَوْلادَكُمُ القُرآنَ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُتَعَلَّمَ مِنْ عِلْمِ اللهِ هُوَ)).

هَذَا وَصَلُّوْا وَسَلِّمُوْا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِيْنَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِيْنَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ تَعَالَى بِالصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلِيْمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّـدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، فِي العَالَمِيْنَ إِنَّكَ حَمِيْـدٌ مَجِيْـدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِيْنَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّـحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ، وَعَنْ المُؤْمِنِيْنَ وَالمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، وَعَنَّـا مَعَهُـمْ بِرَحْمَتِـكَ يَـا أَرْحَـمَ الرَّاحِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُوْمًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُوْمًا، وَلا تَدَعْ فِيْنَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُوْمًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلاًّ مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِـعًا مُنِيْبًـا، وَعَمَـلاً صَالِحًا زَاكِيًا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيْمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِيْنًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلاَلاً طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ وَالْمُسْلِمِيْنَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوْفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلاَمَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

(١) سورة الأحزاب / ٥٦ .

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَاننَا وَأَعِزَّ سُلْطَاننَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِيْنَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِيْنَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاء وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوْعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الخَاسِرِيْنَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيْعٌ قَرِيْبٌ مُجِيْبُ الدَّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.